

خطبة بعنوان

ساعة الاحتضار

للشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن العبد كبر

حفظهما الله



شبكة الإمام الأجرى



www.ajurry.com



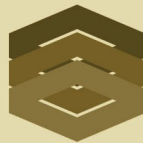


أعد هذه المادة

فريق شبكة الإمام الأجرى للتفريغ العلمي

ربيع الثاني ١٤٣١

الأجرى



منتديات
الإمام
الأجرى

www.ajury.com

موقع علمي متخصص في المتون العلمية وطلب العلم الشرعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليته، وأمينه علىّ وحيه، ومبلّغُ الناسِ شرعَه ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد ..

○ عبادَ الله..

اتّقوا الله تعالى، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١].

○ عبادَ الله..

ساعة رهيبة، ولحظة عصبية، سيمرّ بها كل إنسان لا محالة، وستُدرِك كل عبد فلا مناص؛ إنّها -عبادَ الله- ساعةُ الاحتضار، ساعة المغادرة لهذه الدار، والقُدوم على الدار الآخرة دار القرار.

○ عبادَ الله..

إنّها إي والله ساعة عصبية، ولحظة رهيبة، وخطب جسيم جَلل، لا بدّ

لكلِّ عبدٍ من تفكَّر وتدبَّر لأمره وحاله حينما تُدرکه تلك السَّاعة.

○ عباد الله..

وفي القرآن الكريم مواضع أربعة فيها عرَّض لهول هذا الخطب، وبيان لعظم هذا الكرب:

الأول: قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

والثاني: قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩].

والثالث: قول الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥)﴾ [سورة الواقعة].

والرابع: قوله - جلّ وعلا -: ﴿كَأَلَا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٣].

○ عباد الله..

وهذا الخطب الجسيم جاء في بيانه في سنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحاديث متكاثرة ونصوص متضافرة، ولتأمل في حديث واحد منها؛ حديث جامع حقيق بكل مسلم - عباد الله - أن يتأمله ويتدبره.

فعن البراء بن عازب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ففعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: **«أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»** ثلاث مرات، ثم قال: **«إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا نَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا؛ فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا - يَعْنِي عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ،**

فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتَعُودُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟، فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عِلْمُكَ؟، فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهَ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»

قال: «وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ مِنَ الدُّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ -أي الكساء من الشعر- فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ

رأسه، فيقول: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قال: فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ -والسُّفُودُ حديدة ذات شعب معقّفة- فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ خَبِيثَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانَ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُتَّهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قرأ رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى؛ فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، قال: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟، فيقول: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟، فيقول: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وافتحوا له بابًا إلى النار؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ

فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟
فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فيقول: رَبِّ
لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» ، حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم
وغيرهم^(١).

○ عباد الله..

أما آن للغافل أن ينتبه من غفلته، قبل هجوم الموت بمرارة كؤوسه،
وعِظَمِ خَطْبِهِ وَشِدَّةِ هَوْلِهِ، وحينها -عباد الله- يذهب عن الإنسان رونقه
وبهاؤه، ويتغير منظره ورؤاؤه، ويردّ بعد النعمة والنصرة والسّطوة والقُدرة
والنخوة والعزة إلى حالة يُحمل فيها، إلى حالة يحمله فيها أقرب أقربائه
وأعز أصفِيائه ويُدرجه في حفرة من الحفر، ويُهيلون عليه التراب وحيداً
بلا أنيس، فريداً بلا جليس، ملاقياً هذه الشدائد والأهوال؛ ألا فلننتعظ
-عباد الله- ولنعدّ العدّة لهذه الساعة العصبية واللحظة الرهيبة.
اللَّهُمَّ إِلَهَنَا وَفَقْنَا لِرِضَاكَ، وَأَعْنَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَلَا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا
طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(١) أحمدُ رحمه الله في المسند (ح ١٨٥٣٤)، وأبو داود رحمه الله في السنن (ح ٤٧٥٣) والحاكم
رحمه الله في المستدرک (ح ١٠٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز ص
(١٥٩) ط: المكتب الإسلامي.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل
ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

